ظاهرة النمو الحضري في مدينة سطيف: دراسة تحليلية

حليم ماهور باشا

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تقديم رؤية تحليلية تاريخية لظاهرة النمو الحضري الذي عرفته مدينة سطيف، حيث تطرقنا في العنصر الأول إلى الاتجاهات الرئيسية لهذا النمو الحضري، فبيّنا كيف انتقل النمو الحضري من مركز المدينة إلى الأطراف والضواحي، وتناولنا في العنصر الثاني، عوامل النمو الحضري بمدينة سطيف، بالإشارة إلى المراحل التاريخية لظاهرة النمو السكاني باعتبارها إحدى العوامل الرئيسية لظاهرة النمو الحضري بالمدينة، وكذلك تطرقنا إلى ظاهرة الهجرة الريفية خبرتها مدينة سطيف، ودورها في تنشيط ظاهرة النمو الحضري.

Summary:

This article aims to provide a historical analytical view of the phenomenon of urban growth known to the city of Sétif; In the first element, we discussed the main trends of this urban growth, We showed how urban growth has shifted from the city center to the suburbs; In the second element, we have examined the factors of urban growth in Sétif, With reference to the historical stages of the phenomenon of population growth as one of the main factors of the phenomenon of urban growth in the city; We also discussed the phenomenon of rural migration, experienced by the city of Sétif, and its role in stimulating the phenomenon of urban growth.

مقدمة

شهدت مدينة سطيف تحولات عمرانية كثيفة في العقود الزمنية للاستقلال الوطني، بسب التغيرات الاجتماعية و التحولات الاقتصادية التي عرفتها المجتمع الجزائري ككل، حيث عرفت المدينة نزوحا ريفيا في سبعينات القرن الماضي، نظرا لتوطين بعض المشاريع الصناعية في تلك المرحلة التاريخية بالمراكز الحضرية الكبرى، وبسب تردي الأوضاع الأمنية في مطلع التسعينات، كما عرفت سطيف معدلات نمو ديمغرافي عالية، إذ تعد من أعلى معدلات النمو السكاني على المستوى الوطني، أدت هذه الهجرات المتتالية والنمو السكاني المتزايد إلى نمو حضري سريع لمدينة سطيف، إذ ارتفع عدد سكانها من 88000نسمة سنة 1962 إلى 4500000 نسمة في سنة 2008، كما عرفت المدينة توسعا عمرانيا في الاتجاهات الأربعة.

واجه الفاعلون السياسيون والإداريون النمو العمراني؛ الذي نجم عن النمو الحضري الذي عرفته مدينة سطيف بحزمة من الإجراءات والتدابير العمرانية، تباينت من مرحلة تاريخية إلى أخرى، ففي السبعينات والثمانينات من القرن الماضي تم الاعتماد على مخططات عمرانية مثل: مخطط التحديث العمراني، مخطط العمراني الموجه، بالإضافة إلى التحصيصات السكينة، والمناطق السكنية الحضرية الجديدة، وفي مطلع التسعينات مع التحول الذي عرفته الجزائر، من النظام الاقتصادي الاشتراكي إلى النظام الاقتصادي الليبرالي، تم إدخال أدوات عمرانية جديدة تمثلت في مخطط التوجيه العمراني للمدينة، ومخطط شغل الأراضي، فأدت هذه التدابير والسياسات العمرانية إلى تشكيل مجالات عمرانية متمايزة، نجد أن لكل مجال عمراني خصوصيات اجتماعية واقتصادية وايكولوجية.

دفعت هذه التحولات العمرانية الباحثين المهتمين بالمدينة كموضوع للبحث العلمي إلى طرح العديد من التساؤلات حول العوامل والأسباب التي ساهمت في عملية النمو الحضري للمدينة الجزائرية، ودور السياسات العمرانية والتخطيطية في مواجهة هذا النمو الحضري.

تكشف الشواهد الواقعية أن النمو الحضري الذي خبرته مدينة سطيف أدى إلى تزايد المشكلات الحضرية، حيث ظهرت على حوافها العديد من المناطق الحضرية المتدهورة ايكولوجيا، وعرفت انتشارا للعمران العشوائي، وظاهرة السكن الهش في الأحياء القديمة، كما تعاني المدينة من مشكلات تتعلق

بالخدمات الحضرية، حيث تدلل كل المؤشرات على عجز المؤسسات الخدماتية عن تلبية الحاجات الأساسية لساكنة المدينة، وكذلك اهتراء الطرقات والشوارع والفضاءات العمومية، وغيرها.

من هذا المنطلق، سنحاول هذه المقال أن نجيب عن التساؤلات الآتية:

1- ما هي أبرز الاتجاهات التي اتخذتها ظاهرة النمو الحضري في مدينة سطيف ؟

2- ما هي العوامل المسببة لظاهرة النمو الحضري في مدينة سطيف؟

3- كيف ساهمت الهجرة الريفية في تنشيط ظاهرة النمو الحضري في مدينة سطيف ؟

1- اتجاهات ظاهرة النمو الحضري في مدينة سطيف :

تعتبر ظاهرة النوم الحضري من الظواهر الاجتماعية التي اهتمت بها السوسيولوجيا الحضرية، نظرا للتحولات الاجتماعية والاقتصادية التي تصاحبها، والتأثيرات التي تتركها على البنى الاجتماعية الحضرية، وعلى الإنسان ساكن المدينة، وهناك العديد من العوامل التي تعمل على تنشيط هذه الظاهرة، حيث يعتبر الاقتصاد من أبرز العوامل التي أدت إلى ارتفاع معدلات النمو الحضري في العالم، فبعد الثورة الصناعية التي عرفتها أوربا، أصبح معظم المجتمعات الإنسانية يقطن أفرادها المدن والمراكز الحضرية، وتشير الإحصائيات اليوم إلى أن سكان العالم باتوا يقطنون المدن والمراكز الحضرية،" ففي انجلترا في القرن التاسع عشر لم تكن هناك مدينة تتجاوز 100.000 نسمة ، وأصبح هناك 28 مدينة تجاوز عدد 100.000 نسمة سنة 1945، وفي فرنسا تتجاوز عدد سكان المدن التي كانت نسمتها لا تتعدى 10.000 نسمة سنة 1812 م إلى أكثر من 36.000 نسمة سنة 1866، في برلين، المدن التي كانت نسمتها حوالي 200.000 نسمة سنة 1800 تتجاوز عتبة 2.000.0000 سنة 1900، وفي أمريكا الشمالية حدثت تقريبا نفس ظاهرة التحضر" (H.Marchal,J.M.Stébé,2007)

ارتبطت ظاهرة النمو الحضري بظاهر الهجرة الريفية إلى المدن،" فالمدن التي تنمو بشكل مساوي لنمو الريف، فهنا لا يمكن أن يحدث تغير في معدل التحضر، في المقابل، عندما تدفع مل القوى الى النزوح الريفي ، في بلد ما كانت نمو سكانه ثابتا، هنا، يصبح النمو الحضري للمدن مرتبط بشكل مباشر بالهجرة الريفية"

(Marcel Roncayolo, 1990) ، وترتبط من جهة أخرى، بظاهرة ديمغرافية ممثلة في زيادة معدلات النمو السكاني للمدن.

في هذا السياق، نجد أن الجزائر عرفت الجزائر معدلات نمو حضر ي قياسية في مرحلة الاستقلال الوطني، حيث انتقل عدد السكان في مرحلة زمنية قصيرة من ساكنة تقطن الأرياف والقرى إلى ساكنة تقطن المدن والمراكز الحضري، حيث " تضاعف عدد سكان الإجمالي بنحو متنقلا من 3.752000 نسمة سنة 1882 إلى 34.08000 نسمة سنة 2008، "تضعاف عدد سكان المناطق الحضرية بنحو 42.9 متنقلا من 523.000 نسمة سنة 1882 إلى أكثر من 22413.314 نسمة سنة 2008" (حربوش بوبكر ، 1917).

تشير مختلف الدراسات والأبحاث التي اهتمت بالنمو الحضري للمدينة الجزائرية، أن هناك عدد من العوامل التي نشطت الظاهرة الحضرية، يأتي في مقدمتها ظاهرة الهجرة الريفية، التي أطلق عليها بعض الباحثين ظاهرة النزوح الريفي في السبعينات من القرن الماضي، " إن الزيادة في حجم الهجرة الداخلية نحو المدن، أدت الى تزايد معدل سكان المدن، بعد أن استقر خلال الفترة الواقعة بين 1966 و1969 عل نسة 3.2 بالمائة والمساوية عمليا لنسبة النمو السكاني العام، ثم ارتفعت هذه النسبة حتى وصلت إلى 3.4 بالمائة خلال الفترة الواقعة بين عامي 1969 و 1971، ثم إلى 5.25 بالمائة خال الفترة الواقعة بين عامي 1972 1974" (محمد سويدي ، 1984).

إذا جئنا إلى مدينة سطيف، فإننا نجد أنها كانت إلى غاية 1962 مدينة تضم أربع بوابات: باب الجزائر وباب قسنطينة وباب بسكرة وباب بجاية، تتكون من جزأين عمرانيين رئيسين: الحي المدني من الجنوب والحي العسكري من الشمال، يحتوي هذا المركز الاستعماري النموذجي ، على شوارع تسوق كبيرة وممرات وساحات وحدائق عامة،حافظت المدينة الاستعمارية على وظيفتها التجارية في مرحلة الاستقلال الوطني.، حتى وقت قريب ، يشغل مركز مدينة سطيف القديم حوالي 30 ٪ من الأنشطة التجارية المحلية، لا تزال النواة القديمة، التي تسمى عمومًا "Bled" في اللغة شعبية ، هي مركز الهيمنة بنوع من القيمة الرمزية المكتسبة على مدار تاريخها، ليس فقط هيمنة مركز مدينة على المستوى المحلي ، ولكن أيضًا على المستوى الإقليمي" (Assia Samia-Boudjdja)

عرفت مدينة سطيف نموا حضريا سريعا خلال عقود الاستقلال الوطني، حيث تعتبر الزيادة السكانية العامل الرئيسي

لهذه الظاهرة، بالإضافة إلى عامل الهجرة الريفية إليها في سنوات الستينات والسبعينات من القرن الماضي، ولا تزال تعتبر مدينة سطيف مركزا للاستقطاب الأفراد والجماعات، بسبب موقعها الجغرافي وديناميكيتها الاجتماعية والاقتصادية، فتشير مختلف الإحصائيات أن المدن الجزائرية عرفت نموا حضريا بلغت معدلات قياسية، فبلد مثل الجزائر الذي كان إلى وقت قريب يعتر بلدا ريفيا بامتياز، "حيث انتقل عدد سكان الحضر من 30% سنة 1966 إلى 65 % سنة 2008، خلال هذه الفترة تضاعف سكان الجزائر ثلاثة مرات ليبلغ حوالي 35 مليون في تعدد 2008، وافي سنة 1962 كانت هناك ثلاثة مدن كبر تضم أكثر من 100000 نسمة، (الجزائر، قسنطينة، وهران) إلى 32 مدينة بهذا العدد سنة 1987، و38 مدينة سنة 2008، حيث توجد خمس مدن في الجزائر تجاوز عدد سكانها 300000، وعشرة مدن عدد سكانها ما بين 100000 و 200000، وفي العشرات سنوات المقبلة سيرتفع عددها إلى 60 مدينة تضم كل واحدة منها 100000نسمة" (Said Belguidoum).

تُكاشفنا الإحصاءات السكانية على مر العقود الزمنية، أن المدينة عرفت نموا سكانيا في الستينيات والسبعينات من القرن الماضي، بسبب ارتفاع معدل النمو السكاني الطبيعي، الذي تجاوز نسبة 3 % ليتراجع في عقد التسعينيات وبداية الألفية الثالثة، لكنه لا يزال يعتبر من أعلى معدل النمو السكاني في العالم.

اتخذ النمو الحضري بمدينة سطيف اتجاهات عديدة، الاتجاه الأول من المركز إلى الإطراف والضواحي، وهذا في العقد الأول من الاستقلال الوطني إلى نهاية الثمانيات، حيث عرف المركز المدينة نموا حضريا بمعدلات عالية، بلغت نسبته حوالي 2.7% ، أما الاتجاه الثاني، فكان النمو الحضري يتجه نحو الأطراف والضواحي المحيطة بالمدينة، وهذا، بداية من التسعينات إلى يومنا هذا، كما نسجل ملاحظة هامة، هناك علاقة طردية تحكم النمو الحضري بين المركز والاطراف والضواحي، حيث يكون النمو الحضري للأطراف الحضرية في علاقة عكسية مع النمو الحضري للمركز المدينة، بمعنى إذا انخفض النمو الحضري في المركز في مرحلة تاريخية ما، فإننا نسجل نموا حضريا مرتفعا في الضواحي والأطراف في نفيس المرحلة التاريخية.

في هذا السياق، إذا راجعنا النظرية الايكولوجية في علم الاجتماع الحضري، التي حاولت تفسير ظاهرة النمو الحضري الذي عرفتها المدن الأمريكية من خلال النماذج الايكولوجية الثلاثة،

نظرية دوائر المتراكزة، و نظرية القطاعات المتعددة، أو نظريات النويات المتعددة، حيث كان روادها:" يعتبرون أجزاء المدينة عبارة عن وحدات مجالية تتنافس، من أجل الوصول إلى توازن شبيه بالتوازن الذي يحصل على مستوى الكائنات النباتية. إن منطلق رواد هذه المدرسة أن كل ما هو اجتماعي يتحرك ويتغير"(عبد الرحمن المالكي ،2016) ،فإننا نجد أن هذه النماذج الثلاثة لا تنطبق على الواقع الحضري لمدينة سطيف، الذي اتخذ فيها النمو الحضري اتجاها رئيسيا، من مركز المدينة إلى الضواحي والأطراف، وفق ثلاثة دوائر رئيسية، الدائرة الأولى: يمثلها مركز المدينة، الدائرة الثانية: الضواحي القريبة من المدينة، والدائرة الثالثة: الأطراف القريبة من الضواحي، والانتقال من دائرة إلى أخرى يتحكم فيه التشبع العمراني ونفاذ الاحتياطات العقارية.

عندما يصل المركز إلى مرحلة من التشبع العمراني تبدأ الضواحي في النمو الحضري، وعندما تشبعت هذه الأخيرة بدأت الأطراف تعرف نموا حضريا سريعا، والفرق بين الضواحي والأطراف، أن الضواحي أصبحت مندمجة عمرانيا في المجال العمراني للمدينة، بينما الضواحي لا تزال منفصلة عنها عمرانيا إلى يومنا هذا نظرا لعوامل ايكولوجية وعمرانية.

الأطراف في المدن كمناطق ايكولوجية، لها خصائص اجتماعية واقتصادية،" تكشف عن معدلات للنمو السكاني أكثر ارتفاعا عن المدن المركزية، وذلك نتيجة لازمة عن حركات الهجرة والتنقلات السكانية من المدينة المركزية والمناطق الأخرى خارج المنطقة الميتربولتية إلى الضواحي بأشكالها المختلفة"(السيد عبد العاطي السيد ،2001) ، في الواقع الحضري بمدينة سطيف، هي عبارة نويات عمرانية ظهرت في نفس الوقت الذي كان فيه المركز يعرف نموا حضريا سريعا، عندما تشبع المركز أو حدت من نموه عمرانيا بعض المعيقات الطبيعة، أو بعض المنشآت القاعدية، كالطريق الوطني رقم5، أصبحت الأطراف والضواحي هي البديل بالنسبة للنازحين الريفيين، وكذلك البديل الماثل بالنسبة للمخططين وصانعي القرار على مستوى الجماعات المحلية، الذين وجهوا العشرات من المشاريع السكينة إلى هذه الأطراف والضواحي، مما أدى إلى تسارع النمو الحضري بها.

تُدلل البيانات الإحصائية للجدول رقم1 حول النمو الحضري لمركز مدينة سطيف، حيث بلغ معدله حوالي : 2.01% في الفترة مابين 1987-1998 لتنزل إلى حوالي 1.56%، مما يدلل على أن المركز في تراجع مستمر في معدل النمو الحضري،

في نفس الفترة نجد أن بعض الضواحي ترفع معدلات عالية في النمو الحضري، كشوف لكداد ، والحاسي، وقاوة، التي أصبحت حاليا ضمن النسيج العمراني للمدينة، ثم تليها مرحلة النمو الحضري للأطراف كعين الطريق، والحاسي، وفارماتو التي تشمل حاليا تجمعات عمرانية بتعدادات سكنية عالية على أطراف مدينة سطيف، تابعة ادرايا لها، لكنها لا تزال منفصلة عن النسيج العمراني للمدينة، مثلا عين الطريق، يفصلها عن مدينة سطيف الطريق الوطني رقم5، والمنطقة العمرانية الحاسي يفصلها عن المدينة أراضي صالح للزراعة، وكذلك المنطقة العمرانية فرماتو تفصلها عن المدينة غابة الزيادية.

جدول رقم1: يوضح النمو الحضري لمركز مدينة سطيف وفي الأطراف والضواحي

	حجم السكان 1987	حجم السكان : 1998	نسبة النمو الحضري: 1987-1998	حجم السكان: 2008	معدل النمو الحضري: 1998-2008
سطيف	170182	214842	2.10	251676	1.56
شوف لكداد	1398	5640	13.48	7688	3.15
الحاسي	604	1339	7.50	2359	5.83
قاوة	434	977	7.74	1521	4.53
فرماتو	3732	4922	2.47	6804	3.29
عبيد علي	649	974	3.79	983	4.26
عين الترك	4271	6393	3.6	12433	6.87
عين ارنات	3862	13694	11.03	24846	6.14
أولاد صابر	417	1074	8.98	2307	7.94

المصدر: عبد الحيكم كبيش، التمدد الحضري والحراك التنقلي لمدينة سطييف

2- عوامل النمو الحضري في مدينة سطيف:

تحكم في النمو الحضري الذي عرفته مدينة سطيف عاملين رئيسين، العامل الرئيسي الأول، النمو السكاني للمدينة، الذي مر بمراحل تاريخية متباينة، ويتمثل العامل الثاني في الهجرة الريفية، الذي كان له دورا بارزا في تنشيط ظاهرة النمو الحضري، كذلك الملاحظ أن هذا النمو لم يأخذ خطا بيانيا تصاعديا، وإنما عرف تذبذبا، في مراحل معدلات قياسية، وفي مراحل أخرى: سجل تراجعا، مما يشي أن المدينة تعرضت لإعادة هيكلة مجالية وعمرانية بشكل مستمر، بسب تنوع الإجراءات والتدبير العمرانية

التي طبقت في كل مرحلة تاريخية، لذلك سنتناول هذه العوامل بالشرح والتفصيل في مايلي:

1-المراحل التاريخية للنمو السكاني في مدينة سطيف:

المرحلة الأولى: من 1962 إلى 1967:

عرفت مدينة سطيف في هذه المرحلة نموا سكانيا معتبرا حيث انتقل عدد السكان مدينة سطيف من 70000نسمة سنة 1960إلى 88212 نسمة سنة 1966، وهو نمو سكاني تقدر نسبته بحوالي 1.43%، تبدو ظاهريا أنها زيادة معقولة، لكن هذه الزيادة الطفيفة مردها الهجرة الخارجية التي عرفتها مدينة سطيف بسبب رحيل المعمرين مطلع الاستقلال الوطني، في مقابل، عرفت المدينة نزوحا ريفيا، بدأ أيام حرب التحرير الوطنية، واستمر في مطلع عقد الستينات، حيث ظهرت أحياء كحي طانجة، وحي لاندريولي بكثافة سكانية عالية.

المرحلة الثانية: من 1966 إلى 1977:

عرفت مدينة سطيف في هذه المرحلة معدل نمو سكاني كبير، حيث ارتفع عدد السكان المدينة من 88212 نسمة إلى حوالي 126020نسمة، بالنسبة 3.30%، هي نسبة مرتفعة جدا، أدت هذه الزيادة السكانية إلى تنشيط ظاهرة النمو الحضري، حيث بلغة حوالي 3.34% ، وهي تعتبر نسبة عالية جدا، تفوق المعدل الوطني للنمو الحضري، وهذا بسب التوطين المشاريع الصناعية، واستفادة المدينة من مشاريع السكنية الوطنيةZHUN ، ونسجل هنا، كما ملاحظة، وفي هذه المرحلة نمو حضري سريع في المنطقة الحضرية المركزية في مقابل نمو حضري بطئ في الأطراف والضواحي، كما هو موضح في الجدول رقم 02، عرفت هذه المرحلة إنشاء منطقة الصناعية بمدينة سطيف، الأمر الذي أدى إلى تغيير لوجهتها من الطابع الفلاحي إلى الطابع الصناعي، مما جلب تدفقا كبيرا للسكان إلى مركز المدينة، نتج عنه أزمة حادة في السكن، فاستوجب العمل على حلها باعتماد سياسة المجموعات السكنية الكبرى ZHUN" (شايب عائشة ،2007).

المرحلة الثالثة: من 1977 إلى 1987:

استمر النمو السكاني لمدينة سطيف، حيث بلع غدد السكان حوالي107182 نسمة، قدرت نسبة النمو السكاني بحوالي 2.90%، وهنا، نسجل تراجع طفيف في النمو السكاني، وقدر معدل النمو الحضري 2.56%، نلاحظ تراجع طفيف في معدل النمو الحضري، لكننا علينا أن نقر أن هذا التراجع الطفيف سجله مركز المدينة، بينما عرفت الضواحي والأطراف المناطق الحضرية

المحيطة بمدينة سطيف نموا سكانيا مرتفعا، حيث نلاحظ تراجع النمو الحضري في المنطقة المركزية، بينما بلغت معدلات النمو الحضري في الأطراف معدلات قياسية مثلا في عين لرنات، وقاوة ، شوف لكداد، وعين الطريق، فرماتو.

المرحلة الرابعة: 1987 إلى 1998:

الملاحظ في هذه المرحلة التاريخية، تراجع طفيف في معدل النمو السكاني لمدينة سطيف، حيث بلغ عدد السكان حوالي: 214842 نسمة،معدل نمو سكاني تقدر نسبته بحوالي:2.09%، وهي نسبة نمو سكاني تضع مدينة سطيف من المدن المتوسطة الحجم على المستوى الوطني، لكن عرفت نسبة نمو حضري تقدر بحوالي 2.1"%، وهي نتراجع طفيف في النمو الحضري على مستوى المركز بينما الأطراف والضواحي عرفت معدلات نمو حضري قياسية، ففي شوف لكداد بلغ حوالي 3.15%، كما هو موضح في للجدول رقم 2 ، وترجع هذا النمو الحضري إلى الهجرة الريفية إلى ضواحي وأطراف المدينة، بسب التدهور الأمني الذي عرفته المناطق الريفية.

المرحلة الرابعة: من 1998 إلى 2008:

سجلنا في هذه المرحلة التاريخية نوعا من التراجع في معدل النمو الحضري على مستوى مركز المدينة، حيث بلغ معدل النمو السكاني حوالي: 1.56%، بينما استمر النمو الحضري في الارتفاع في الضواحي والأطراف، حيث بلغ في الحاسي 5.83%، بينما بلغ عدد السكان حوالي: 251676، ونسبة نمو سكاني قدرت بحوالي: 1.59%وهو تراجع نسبي في معدل النمو السكاني، على مستوى المركز الحضري، بينما على مستوى المركز والأطراف فقدرت بحوالي 2.09 % كما هو موضح في الجدول رقم7.

المرحلة الخامسة: من 2008 إلى 2019:

تشير التوقعات التي قام بإعدادها مكتب بلدية سطيف للإحصاء أنه من المنتظر أن يبلغ عدد سكان المدينة سنة 2024 حوالي: 4757877، كما هو موضح في الجدول رقم: 03، وهي نسبة نمو عالية، ستضع مدينة سطيف على المستوى الوطني من المدن ذات الكثافة السكانية العالية، وهنا توقعات باستمرار النمو الحضري على مستوى الأطراف والضواحي، بينما المركز، فنعقد انه يعاني من حالة تشبع عمراني، وبالتالي، لن يعرف معدل نمو حضري اكبر من الذي عرفه في العقود السابقة.

جدول رقم 02: يوضح النمو الحضري في مدينة سطيف

مدينة سطيف	1966	1977	1987	1998	2008
حجم السكان	88212	126020	170182	214842	251676
النمو الحضري		3.34	%2.56	%2.1	%1.59

المصدر: ONS، الإحصاء العام للسكان والسكن 2008

جدول رقم03: يوضح نسبة النمو الحضري لمدينة سطيف:

	1998	2004	النسبة	2009	2014	2024
المنطقة المركزية	224316	280000	%3.76	336750	390385	4757877
بلدية سطيف	236122	294708	%3.76	354439	410892	500875

المصدر: المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، سطيف، 2010.

جدول رقم04: يوضح نسبة الأرض الحضرية والاستهلاك العقاري في مدينة سطيف:

السنوات	السكان	المساحة الحضرية	الاستهلاك العقار الحضري(هـ)	متوسط الاستهلاك العقار الحضري(هـ/سنة)
1966	88212	338		
1977	126020	839	501	50
1987	168000	1335	496	49.6
1998	239195	2285	950	95
2008	287574	3377	1092	109
2014	300000	4391	1014	169

المصدر: PDAU مابين البلديات سطيف، 2010.

نلاحظ من المعطيات الإحصائية للجدول رقم 4، أن هناك زيادة معتبرة في استخدام الأرض الحضرية، حيث انتقلت النسبة من حوالي: 839 هكتار سنة 1977 إلى حوالي: 4391 هكتار سنة 2014، مما يبين أن هناك نموا عمرانيا سريعا عرفته المدينة خلال أربعة عقود زمنية، كما نسجل انتقالا من متوسط استهلاك العقار من حوالي: 50 هكتار إلى حوالي 169 هكتار سنويا.وهو رقم يدلل على حجم النمو الحضري السنوي للمدينة، وهو ما تثبته معطيات الجدول رقم5.

جدول رقم05 : العقار وأنماط الاستهلاك في سطيف. Urbase-Sétif, (2010)

السنوات	السكان	المساحة المعمرة بالهكتار
1966	88212	338 هـ
1977	131638	840 هـ
1987	170182	1336 هـ
1998	214842	2285 هـ
2008	288461	3377 هـ

المصدر: PDAU مابين البلديات سطيف، 2010.

جدول رقم06: يوضح عدد سكان أحياء مدينة سطيف

اسم الحي	عدد السكان	اسم الحي	عدد السكان
حي يحياوي	28326	حي المعبودة	6349
حي الهضاب	9222	حي حشمي	20296
حي القصرية	5709	حي اولاد ابراهم	9249
حي عين تبنت	10770	حي 1000مسكن+ 20اوت	5948
حي ثليجان	6294	حي 750 مسكن	8207
حي بيزار	5958	حي عمر دقو	3863
وسط المدينة	9234	حي كعبوب	4574
حي 600 مسكن	8000	حي 1014 مسكن	6589
حي لعرارسة	8380	حي شوف لكداد	7688
قاوة	1521	/	/

المصدر: مديرية الإحصاء والإعلام الآلي لبلدية سطيف سنة 2016.

نلاحظ من معطيات الجدول رقم6، أن هناك خللا في توزيع الكثافة السكانية داخل أحياء مدينة سطيف، فهناك تابينا صارخا، فنسجل على مستوى حي للعرارسة نسبة سكانية تقدر بحوالي: 8380نسمة، في المقابل، نسجل حوالي: 28836 بحي يحاوي (طانجة)، كذلك هناك تباينا سكانيا بين المجمعات السكنية الفردية والمجمعات السكانية الجماعية، فنسجل في حي قاوة حوالي: 1521 بينما نسجل في 1014 مسكن حوالي: 6589 نسمة، ويدلل هذا التبيان على أن هناك خللا في تطبيقات السياسات العمرانية وتوجهاتها، فمن المفروض أن تعمل الأدوات العمرانية على خلق مناطق ومجالات خضرية متوازن سكانيا وعمرانيا ووظيفيا، حتى لا تؤثر الكثافة السكانية على المرافق العمومية والخدماتية.

جدول رقم07: يوضح النمو السكاني وعدد شغل المسكن لمدينة سطيف من 1962 إلى 2015 :

المرحلة الزمنية	معدل النمو السكاني	الزيادة في عدد المساكن	معدل شغل المسكن (الفرد في المسكن)
1962-1966	%1.42	/	11.59
1966-1977	%3.30	10019	7.15
1977-1987	%2.91	10160	6.07
1987-1998	%2.09	20746	6.02
1998-2004	% 2.69	20544	4.66
2004-2009	%2.34	20544	4.66
2009-2015	% 2.04	33916	2.04

المصدر: مكتب الإحصاء لبلدية سطيف2016.

تُبين معطيات هذا الجدول، أن النمو السكاني لمدينة سطيف في علاقته بالزيادة في عدد المسكان، حيث انتقلت الحظيرة السكينة من حوالي: 10019 سكن سنة 1977 إلى حوالي: 33916 سنة 2015، وهي زيادة تضاعفت ثلاثة أو أربعة مرات، مما يبين ويعزز فرضية النمو العمراني للمدينة، والذي يمكننا وصفه بالسريع والمرتفع، في المقابل، نلاحظ انخفاضا في معدل شغل السكن، حيث انتقلنا من نسبة شغل السكن سنة 1966 بحوالي 11.59، إلى نسبة 2.04 سنة 2015، وهذا يدلل على حجم البرنامج السكنية التي أنجزت على مستوى المدينة سطيف، حيث تظل مدينة سطيف من المدن الرائدة في الجزائر في مجال انجاز البرامج السكينة، مع التذكير بملاحظة، النقص الذي تعاني منه الأحياء السكينة في المرافق العمومة والخدمات الحضرية، حيث ظلت المخططون يعتقدون أن أزمة المدينة تتجلى فقط في المجال السكني دون النظر إلى بقية شروط الحياة الحضرية.

2- الهجرة الريفية إلى مدينة سطيف:

تشير أغلب الدراسات والأبحاث السوسيولوجية إلى أن من ابرز العوامل التي تؤدي إلى زيادة معدلات النمو الحضري للمدن والمراكز الحضرية عامل الهجرة الريفية، فالهجرة تشير في أبسط تعريفاتها إلى تنقل السكان من الأرياف إلى المراكز الحضرية والمدن، ويسم الباحثون في دول العالم الثالث ظاهرة الهجرة بالنزوح الريفي، حيث يترك كان سكان الأرياف مناطقهم لينزحوا تجاه المدن والمناطق الحضرية، لذلك عرفت المدن الجزائرية هذه الظاهرة، واعتبرت من العوامل الرئيسية لظاهرة النمو الحضري. نجد أن الهجرة الريفية إلى المدينة سطيف، تعود بدياتها الأولى إلى الظاهرة الاستعمارية، وخاصة إبان حرب التحرير، حيث نزح

السكان الأرياف بسبب التدمير الذي تعرضت له مناطقهم الريفية، حيث ظهرت أحياء يحياوي (طانجة)، وكعبوب، وفيلاج نيقرو على حواف المدينة الكولونيالية.

تكشف معدلات الهجرة أن مدينة سطيف تسجل نسبا ضعيفة في صافي الهجرة عبر مراحل تاريخية متعددة، لتُبين لنا كباحثين أنها تعاني من ثنائية الجذب والطرد، أي أنها تستقبل المهاجرين من المناطق الريفية والحضرية، كما أنها تعرف هجرة خارجية منها إلى مناطق حضرية أخرى، وبتعبير إحصائي خالص تتساوى فيها الهجرة الداخلية مع الهجرة الخارجية، غير أن هناك ملاحظة يكشفها الشكل رقم 1، حيث ما فتئت معدلات الهجرة تنخفض من عقد زمني إلى آخر، من نسبة 1.12% سنة 1966 إلى 0.47 % سنة 1977، نجد تفسير هذه الأرقام في القطاع الصناعي الذي اقيم في مدينة سطيف، والذي استقطب المهاجرين من الأرياف، ومن المناطق الحضرية المجاورة لمدينة سطيف. لينخفض بعدها معدل الهجرة إلى ما دون الصفر سنة 1987 وتبلغ نسبته حوالي –0.42%، وهذا يعني ان الهجرة الخارجية اكبر من الهجرة الداخلية، وارتفع معدل الهجرة سنة 1998 ليصل إلى حوالي .0.05 % ، وهنا يرجع هذا الارتفاع الطفيف إلى الهجرة الريفية التي سببتها الأزمة الأمنية،

هناك خاصية تميزت بها الهجرة الداخلية إلى مدينة سطيف، باعتبارها من العوامل المحفزة والمنشطة لظاهرة النمو الحضري، حيث نجد الهجرة في المرحلة الأولى كانت باتجاه مركز المدينة، وهذا مع رحيل المعمرين، حيث شغل المهاجرون الممتلكات الشاغرة، وفي المرحلة الثانية، كانت الهجرة إلى الضواحي القريبة من مدينة سطيف، كضاحية قاوة، شوف لكداد، وهذا في عقدي السبعينات والثمانينات من القرن المنصرم، بالإضافة الهجرة إلى الأحياء المتخلفة كحي طانجة بمدينة سطيف، وفي المرحلة الثالثة، وفي ظل الأزمة الأمنية، كانت الهجرة من الأرياف إلى الأطراف، فكشفت دراسة ميدانية للباحث بوزيد شرقي أجريت على عينة من سكان ضواحي مدينة سطيف(شوف لكداد، شيح العيفة، وعين الطريق)، هدفت إلى تحديد الأصل الجغرافي لساكنة هذه المناطق، تبين أن 58.08 % من العينة هو وافدون من المركز الحضري لمدينة سطيف، و 9.95 % هو وافدون م تجمعات سكانية أخرى، و28.08% وافدون من باقي بلديات الولاية، و 9.88% وافدون من متخلف ولايات الوطن"(بوزيد شرقي ،2002).

الشكل رقم1: النمو السكاني و الهجرة في مدينة سطيف

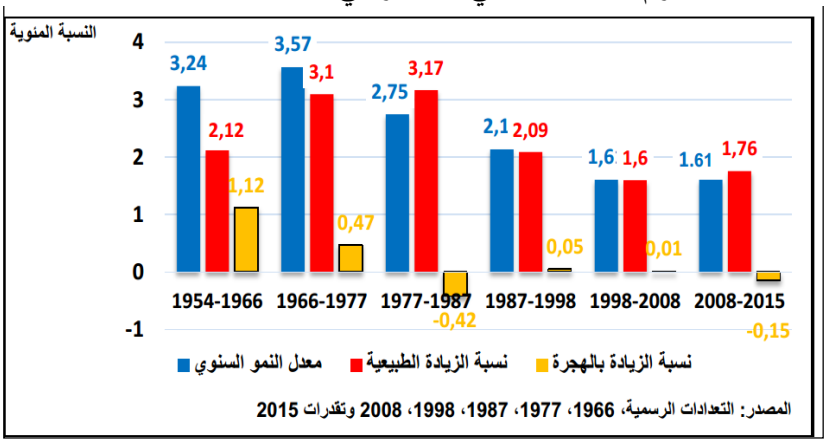

المصدر: سليم زاوية، المجالات المحيطة بمدن الشرق الجزائري، المفهوم والديناميكية والحوكمة.

نلاحظ من البيانات الإحصائية للأعمدة البيانية، أن الهجرة الداخلية لم تكن من العوامل الرئيسية التي أدت إلى تنشيط ظاهرة النمو الحضري بمدينة سطيف، وإنما معدلات النمو السكاني العالية هي التي أدت إلى مضاعفة معدل النمو الحضري، وهذا لا يعني أن المدينة لم تعرف موجات متتالية من الهجرة الريفية، وإنما المدينة تساوت فيها الهجرة الداخلية مع الهجرة الخارجية، أي عدد المهاجرين الى المدينة يساوي عدد المهاجرين منها إلى بقية المناطق الحضرية الأخرى.

خاتمة

ظاهرة النمو الحضري الذي عرفته مدينة سطيف سببها الرئيسي معدلات النمو السكاني العالية، والتي اعتبرت في مراحل تاريخية من أعلى معدلات النمو السكاني في العالم، بالإضافة إلى الهجرات الريفية المتتالية، وتحكم في هذا النمو الحضري مجموعة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية، واتخذ هذا النمو ثلاثة دوائر كبرى، دائرة المركز، الذي نمى حول النواة العمرانية الكلونالية، والدائرة الثانية، مثلتها الضواحي القريبة من المدينة، والدائرة الثالثة، مثلتها الأطراف البعيدة عن مركز المدينة(3-5 كلم)، فتوسعت المدينة عمرانيا من المركز إلى الضواحي وصولا إلى الأطراف.

واجه المخططون والفاعلون السياسيون النمو العمراني المتولد عن ظاهرة النمو الحضري السريع الذي عرفته مدينة سطيف، بحزمة من الإجراءات القانونية والأدوات العمرانية، إلى أن هذه الأدوات والتدابير فشلت في معظمها في التحكم في النمو الحضري

والتوجيه، بسبب كثافته وسرعته من جهة، وبسبب ضعف هذه الأدوات العمرانية، التي كانت غالبا ما تأتي بعد النمو العمراني للمدينة خارج الأطر الرسمية، لذلك لا تزال المؤسسات الحضرية عاجزة عن مجابهة النمو الحضري، الذي عرف انخفاضا على مستوى مركز مدينة سطيف، ويعرف معدلات قياسية على مستوى الأطراف والضواحي (عبد الحكيم كبيش ،2010).

أدى النمر الحضري المتسارع إلى مضاعفة معدل التحضر بمدينة سطيف، الأمر الذي أدى إلى تزايد المشكلات الحضرية وتعقدها، فتشير العديد من الدراسات والأبحاث إلى أن المدينة تعاني من أزمة حضرية، كباقي المدن الجزائرية(فؤاد غضبان ،2017) ، حيث تعاني المدنية من تردي الطرقات والأرصفة، وأزمة الإسكان الحضري، والنمو العمراني غير الرسمي، والبطالة الحضرية، وتلوث البيئة الحضرية،وتدني مستوى الخدمات الحضرية، وتفاقم مشكلات النقل الحضري، وهي كلها مؤشرات تشي بأن المدينة تعيش أزمة حضرية متصاعدة (إسماعيل قيرة ،2004) ، فيعاني المركز من تأثير الكثافة السكانية على مجالاته الحضرية، ما يعني إجرائيا الضغط على وظيفة المؤسسات الخدمات، وكذلك تنامي ظاهرة التلوث البيئي، وأزمة الإسكان الحضري، بينما تعاني الأطراف من مشكلات حضرية أخرى، كظاهرة التوسع العمراني العشوائي، وتنامي الأحياء غير المخططة ، ومشكلة النقل الحضري، وضعف الاستفادة من الخدمات الحضرية.

قائمة المراجع:

1. Herve Marchal, Jean-Marc Stabe, la sociologie urbain, Que sais-je ! Presse Université de France, 2007, p7.
2. Marcel Roncayolo, la ville et ses territoire, Eetion Gallimard, 1990 , p40.
3. حربوش بوبكر، النمو الحضري بالجزائر ورهان التنمية الحضرية المستدامة . أي سياسة للمدينة؟، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 24، 2017، ص194.
4. محمد سويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، 1984، ص79.
5. Assia Samia-Boudjdja, Modernité et durabilité a travers l architecture et l urbanisation a Sétif (1930-1962).
6. https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00380579/file/Microsoft_Word_-_Modernite_et_durabilite_a_travers_l_architecture_et_l_urbanisme_a_Setif.pdf
7. Said Belguidoum, transition urbain et nouvelle urbanité : la ville algérienne en tous ses états,
8. file:///C:/Users/pc/Downloads/Belguidoum-Transitionurbaineetnouvellesurbanitslavillealgriennedanstoussestats%20(1).pdf
9. عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، المغرب: إفريقيا الشرق، 2016، ص149.
10. السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، مصر: دار المعفة الجامعية، 2001، ص207.
11. توصلنا إلى هذه النتيجة من خلال مجموعة من الخرائط التي تبين النمو العمراني الذي أخذته مدينة سطيف من المرحلة الاستعمارية الى يومنا هذا، فنحن نشتغل على مشروع بحثي بعنوان السياسات العمرانية وإنتاج المجالات الحضرية في مدينة سطيف prfu، لذلك هذا المقال هو جزء من هذا المشروع فقط، كما اعتمدنا على دراسات وأبحاث تناولت ظاهرة النمو العمراني في مدينة سطيف، كدراسة الباحث عبد الحيكم كبيش،بعنوان: التمدد الحضري والحراك التنقلي لمدينة سطييف، والباحث: سليم زاوية، أدوات النهيئة والتعمير المستدامة للفضاءات الخارجية، بالمجموعات الكبرى للسكن، والباحثة جميلة العلوي: واقع الأحياء المتخلفة لمدينة سطيف، والباحث بوزيد شرقي، مدينة سطيف: النمو الحضري وتحضر الإطراف، والباحث شرفي خالد، بدراسة بعنوان:

Le fait urbain en Algérie, de l'urbanisme d'extension à l'urbanisme de maitrise. L'urbanisme en discussion.

Cas de Sétif –Algérie1962-2014

12. شايب عائشة،أدوات التعمير والتهيئة المستدامة للفضاءات الخارجية بالمجموعات الكبرى للسكن، حالة مدينة سطيف، رسالة ماجستير غر منشورة، جامعة قسنطينة، 2008/2007، ص90.
13. بوزيد شرقي، مدينة سطيف: النمو الحضري وتحضر الإطراف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2002، ص19.
14. انظر : عبد الحكيم كبيش، التمدد الحضري والحراك التنقلي في النطاق الحضري لمدينة سطيف، دكتوراه في تهيئة المجال ، غير منشورة، جامعة قسنطينة، 2011/2010.
15. انظر: فؤاد غضبان، محفوظ جعجو، التوجيه المكاني في تقييم جودة الحياة الحضرية بمدينة سطيف(الجزائر)، مجلة العمارة والتخطيط، العدد29، 2017.ص ص 63-87.
16. إسماعيل قيرة، علم الاجتماع الحضري ونظرياته، منشورات جامعة قسنطينة، 2004، ص43.